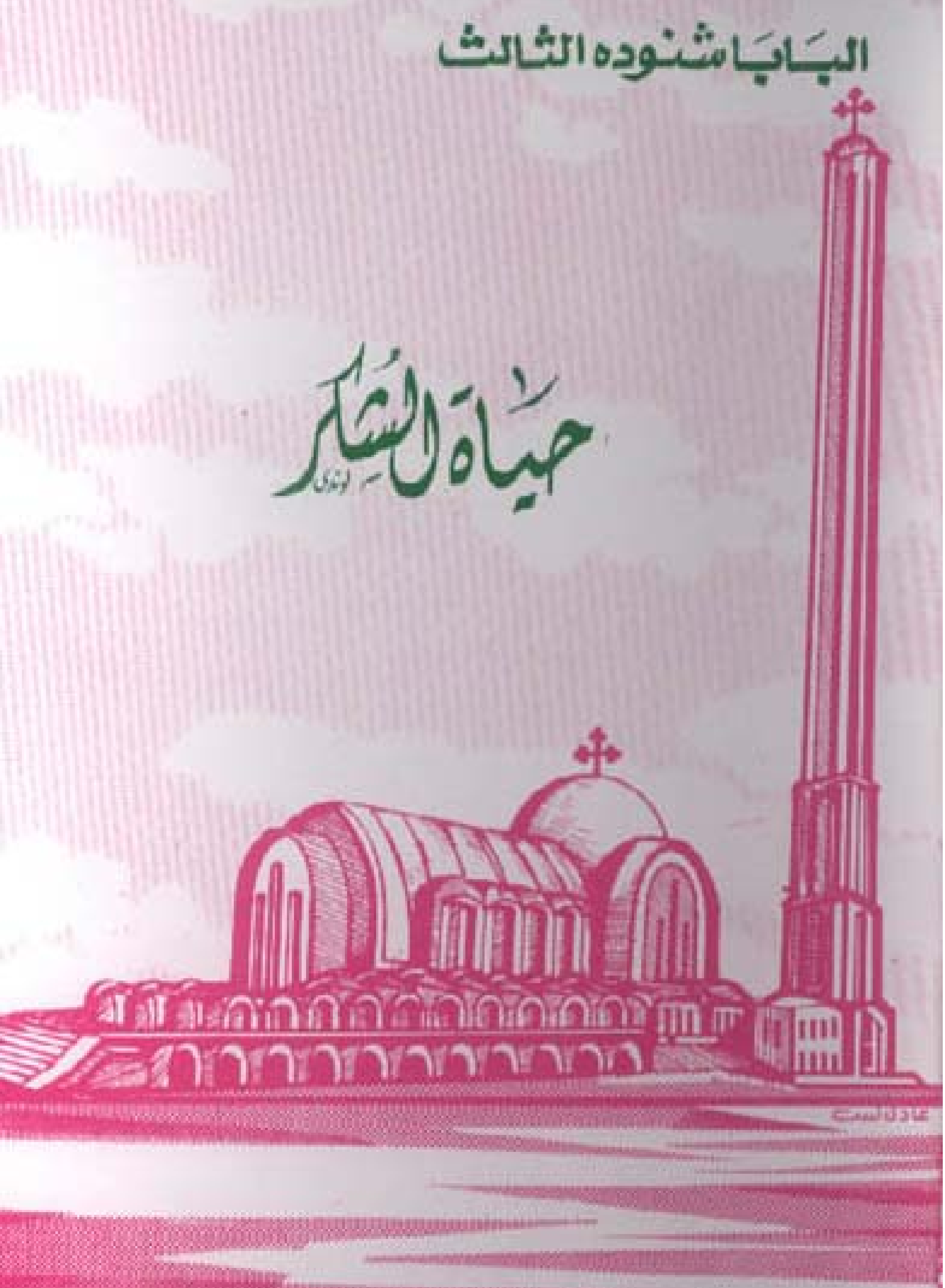
htm



www.st-mgalx.com


البابا شنوده الثالث
حياة الشكر



حضرة صاحب القداسة والغبطة

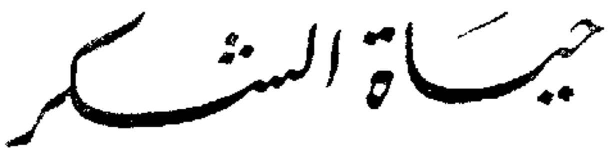
البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

تحوى هذه النبذة احدى محاضرات قداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث التى القاها — واربعا اخرى غيرها — بالمؤتمرالاول لخدام التربية الكنسية بالاسكندرية عام ١٩٦٨ بكنيسة القديس مارمينا بالمنـــدرة — وكان قداسته عندئذ أسقفا للتعليم — وقد سبق لمكتبة كنيسة السيدة العذراء محرم بك أن طبعت المحاضرات الخمس المذكورة طبعـــة اولى عام ١٩٧١ — وهو اول عام لتبوأ قداسته السدة الرسولية .

ولقد نفذت الطبعة الاولى لتلك المحاضرات وازاء الالحاح فى طلبها رأينا ان نقوم باعادة طبعها واحـــدة بعد الاخرى وها نحن نقدم الطبعة الثانية لهذه المحاضرة عن



راجين الـــرب أن يجعلها لخير القـــراء ولبركة حيـــاتهم وشركتهم فى الـــرب . ببركة صلوات قداسة البـــابا المعظم الانبا شنودة الثالث اطال الله حيـــاته ورئاسته للكنيســـة سنين عديدة وأزمنة سالمة مديدة — آمين .

الكنيســـة

حياة الشكر

حياة الشكر والايمان :

ان حياة الشكر مرتبطة بأمور أخرى تسبقها وتندمج معها .. فحياة الشكر تلزمها حياة الايمان ، الايمان بالله فى صفات معينة بدونها لا يمكن أن نصل الى حياة الشكر .. فلابد أن تؤمن أولا أن الله **صانع للخيرات** ، وثانيا أنه **محب البشر** . فالله لابد أن يصنع خيرا — لا يستطيع أن يصنع الا الخير — وهو باستمرار يصنع خيرا معك ومع باقى الناس . ولابد أن تؤمن ثالثا أن الله **قادر على كل شىء** — هو يحبك ويريد أن يصنع معك خيرا ، وهو قادر على صنع الخير .. هذه الصفات الثلاث تجعلك تثق بأن الله يصنع دائما خيرا .

وهنا تقابلنا مشكلة وهى أن الله مع أنه يصنع الخير ، الا أنه أعطى حرية للناس ، والناس قد يصنعون شرا .. فربما يأتيك الشر من الناس فاعلى الاثم وليس من الله . وهنا لابد أن تؤمن رابعا أنه توجد صفة أخرى لله تضعها الى جوار هذا فتستريح وهى صفة الله **كضابط الكل** ،

يرقب كل أحد .. فالحرية التى أعطاها للناس لا تعنى أنه تخلى عن ادارته للكون ، وترك كل انسان يفعل ما يريد . انما الله يعطى الحرية ويرقب ويقـود ويلاحظ كل شيء ، ويغير ما يحتاج الى تغيير ، ويمنـع ما يراه ضارا .. هو ضابط الكل . هذه الصفة تريحك من جهـة حرية الناس وحرية الشياطين وأيضا حريتـك الشخصية .. لان الشر الذى يأتيك ربما يكون صادرا عن حرية الناس الاشرار او عن حريتك الشخصية التى بها تضر ذاتك ، أو عن محاربة الشياطين .. والله ضابط الكل يتدخـل فى كل هذه الامور وينفذ مشيئته الصالحة الطوباوية . فالله لا يمنح الحـرية مطلقة .. والا هلك العالم . حتى الشياطين الاشرار الذين هم بطبيعتهم الملائكية الروحية لهم قوة تفوق الطبيعة ، الا انهم ليسوا أحرارا فيما يعملون .. ففى قصة ايوب مثـلا نلاحظ أن الشـيطان كانت حـريته محدودة . كان يقترح أمورا ، والله يسـمح له أو لا يسمح ، ويضـع له حدودا وقيودا معينة .. قال له أولا هوذا كل ما لايوب فى يدك وانما اليه لا تمد يدك (أى ١ : ١٢) . وفى المرة الثانية سمح له أن يمد يده الى جسد أيوب دون عقـله أو نفسه .. حتى الشيطان ، يحدد له الله عمله ويقيـده ولا يترك له الحرية المطلقة .. فلهذا اطمئن ، لان الله صانع الخيرات ، محب البشر ، ضابط الكل ، يرعاك ويهتم بك ولا يسمح أن يأتيك ما يضرك . وان آمنت بهذا لابد أن تشكره على عنايته .

الشر وصانع الخيرات

وهل نشكر الله على الشرور التى يسمح بها ؟ .. طبعا نشكره . نحن نشكر الله على كل حال ومن اجل كل حال وفى كل حال . اشكر الله الذى يستطيع أن يحول الشر الى خير .. بعين الايمان أنظر الى هذه المتاعب فى ضوء تدخل الله وتحويله لها الى الخير .. واليك المثل :

يوسف الصديق : فعل به اخوته شرا ، باعوه كعبد .. ولكن الله الذى يخرج من الجافى حلاوة ، استطاع أن يحول هذا الشر الى خير . لذلك قال يوسف لاخوته أخيرا « أنتم قصدتم بى شرا والله قصد به خيرا » تك ٥٠ : ٢٠ . امرأة فوطيفار الشريرة أرادت بيوسف شرا ، ولفقت له تهمة كاذبة ألقت به فى السجن .. ومع ذلك فالله حول هذا الشر الى خير بالنسبة ليوسف شخصيا ولارض مصر والعالم كله ..! لان يوسف كان سبب بركه لمصر فى المجاعة وللعالم المحيط بها الذى أنتفع من تدبير يوسف لها . فلو آمنت بالله أنه يحول الشر الى خير ستعيش فى حياة شكر كامل ، على كل ما يحل بك . لذلك لا تتعب أبدا .. ان كان الذى يحدث لك خيرا فى ذاته ، فسيصلك هذا الخير . وان كان شرا ، فان ضابط الكل سيقابله فى الطريق ويحوله الى خير ليصلك خيرا .

الصبر وحياة الشـــكر

انا بحياة الايمان نرتـاح ونشكر الله على كل أعمـاله الصالحة معنـا . والى جوار هذا لابد أن تكون صـبورا وطويل الاناة .. لان هناك أعمالا تتحول الى خـير فى مدى زمن طويل يحتاج منك صبرا . ففى قصة يوسف الصديق : بيعه كعبد لم يتحول الى خـير فى نفس السنة . القاؤه فى السجن لم يتحول الى خير فى نفس السنة .. ولكن بالمدى الزمنى وبمرور الوقت رأينا الخير الذى نتـج عن ذلك . فعليك أن تكون طويل الاناة واثقـا فى حكمة الله ورحمتـه وتدخله فى الوقت المناسب بالطريقة المناسبة .

الاهواء الشخصية وحياة الشـكر

من الامور المهمـة فى شـعور الانسان بالخـير وبالشر وما يترتب عليه من شكر أو تذمر ، رغباتنا الداخلية ونوع تقييمنا للامور .. كتب القديس يوحنـا ذهبى الفم مقـالا جميلا عنوانه « لا يستطيع أحد أن يضر انسـانا ما لم يضر هذا الانسان نفسه » .. بدون فهم هذا الموضوع لا تستطيع الوصول الى حيـاة الشكر . ما الذى يسـتطيع انسان ــ أو حتى شـيطان ــ أن يضرك به .. ؟ لو كنـت أنت انسانا قديسا ، صالحا ، بارا ، تحب الله .. سيكون لك هدف واحد فقط هو الالتصاق بالله ورغبتـك هى فقط فى

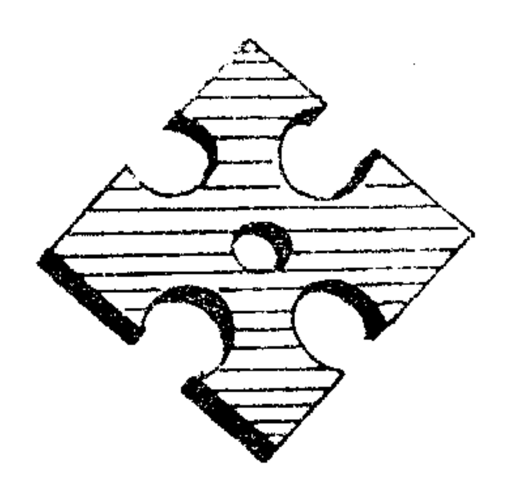
ملكوت السموات . وهذا لا يستطيع أحد أن يضرك فيه . اما اذا جعلت لنفسك أهدافا ورغبات أخـــرى أضفتها الى الله .. فهذه هى التى تضرك . قلبك من الداخل ــ المحب لهذه الرغبـــات ــ هو الذى يضرك وليس الناس . قـــد يستطيع أحد أن يأخذ منك مالا ، فاذا كنت لا تهتم بالمال فى كثرته أو قلته فلا تضر . قد يستطيع أحـــد أن يزج بك فى السجن ، فاذا كنت لا تهتم الا بحرية ضميرك وفكرك وقلبك فى علاقتك مع الله ، ولا تهتم بالمكان الذى يعيش فيـــه ولا بالحالة الارضية ، عند ذلك سوف لا تشعر بضرر . فبولس الرسول كان فى أعماق السجن وكان يرتل بفـــرح .. ماذا يصنع بك الناس من الخارج ؟ أيقتلونك ؟ وماذا يضرك هذا ان كان لا هدف لك سوى الحياة مع المسيح ؟! .. الشهداء عذبوا وقتلوا ، ولم يشعروا أنهم قـــد أصيبوا بضرر ، لان الضرر الوحيد هو الانفصـــال عن الله وهذا يتعلق بالقلب من الداخل وليس بالناس .. يوسف الصديق صـــار عبدا ولم يتعب ، لان الحرية لم تكن هى هدفه ، وكذلك السجن لم يفصله عن الله .. الضرر الوحيد هو انفصالك عن الله ، وهو لا يأتى الا بانحراف ارادتك الشخصية نحـــو الشر ، وتكون أنت الذى آذيت نفسك وليس انسان آخر .



التجارب وحياة الشكر

قد يفقد الناس حياة الشكر عندما يقعون فى احزان ومتاعب متنوعة . أما رجال الله القديسون الذين لا تتعبهم كل هذه الامور ، ولا يتعبهم الا الانفصال عن الله ، فكل ضيقات العالم لا تتعبهم . هم يعيشون فى شكر دائم فى كل حال ، فى الفقر وفى الغنى ، فى السعة وفى الضيق ، فى المرض وفى الصحة ، فى الموت وفى الحياة .. دائما يشكرون لان الهدف الوحيد وهو الالتصاق بالله ، لم يفقدوه فى كل هذه الحالات . لذلك هم فرحون متهللون شاكرون . لو ضاع منى كل شىء وبقى لى الله وحده ، فانا معى كل شىء ، لان الله هو الكل فى الكل ، فما الذى يحزننى ؟ .. يقول بولس الرسول «لذلك أسر بالضعفات» ٢ كو ١٢ : ١٠ .. لماذا ؟ لان الضيقات تقربنى الى الله أكثر ، وتجلب لى أكاليل أكثر .. فما الذى يحزننى ؟ أشكر الله على كل حال .. فى الصحة وفى المرض .. ولماذا أشكر الله فى المرض ؟ لانه ليس شرا فى ذاته « لعازر المسكين المذكور فى قصة « الغنى ولعازر » كان مثقلا بالامراض ، وكانت عنده قروح كثيرة والكلاب تلحس هذه القروح .. لكن هذا كله لم يكن شرا فى ذاته ولم يفصله عن الله ، بل على العكس كان للفائدة . فعندما اتكأ فى

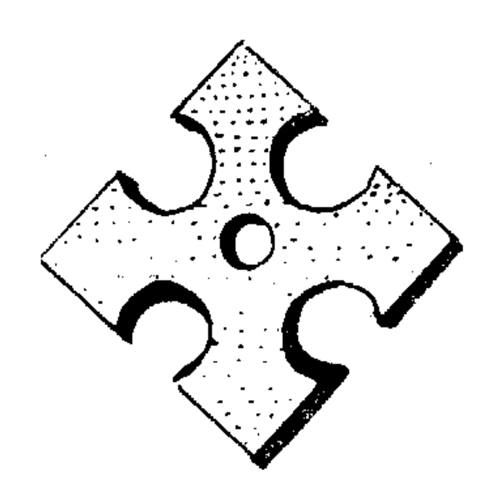
احضان ابراهيم ، قدم عنه تقريرا أنه « استوفى بلاياه على الارض لذلك هو يتعزى » لو ١٦ : ٢٥ . هكذا فلتشكر الله فى المرض لانك قد تستوفى به البلايا وتأخذ نصيب لعازر المسكين .



لا نعلم ما نصلى لاجـــله

قـــال القديس باسيليوس الكبـــير « وان كنت مريضـــا لا تطلب من الله صحة ، لانك لا تعرف ما هو المفيد لك ــ الصحة أم المرض » . طبعـــا نحن بضعفنا البشرى نطلب الصحة لكننا لا نعرف روحيا ما هو المفيد .. ربمـــا يتمبنى المرض على الارض لكنه يضمن لى ملكوت السموات اذا كان استغلالى له حسنا . من المعروف عن المهاتما غاندى أنه كان يكره الطب والمستشفيات ــ لا نريد مناقشة الرأى كله وانما نعرض فقط وجهة نظر غاندى فى المستشفيات . انها تعطى الانسان صحة جسدية ربمـــا يغضب بها الله .. وربمـــا ينهمك بها فى الشر ويخسر الله ! . ولذلك كان غاندى يهتم بالعلاج الروحى والنفسى أكثر من العلاج الجسدى . مامعنى أن شابا مريضا يعطى صحة يستغلها فى الزنى والفسق !. ما معنى أن انسانا شريرا يعطى صحة يستغلها فى الظـــلم والسرقة والفساد ! .. هل كانت هذه الصحة للفـــائدة أم للضرر ؟ فالمهم اذن الصحة الروحية . حكى فى بستان الرهبان عن أحد الرجـــال الاثرياء النبـــلاء أن كانت له ابنـــة وحيدة مريضة مشرفة على الموت ، فطلب من احـــد القديسين أن يصلى من أجلها لتشفى . فحاول القديس أن يعتذر بشتى الطرق ، ولكن الرجل ألح عليه ، فصلى القديس وعاشت

الفتاة . الا أنها سلكت فى سيرة شريرة أضاعت بها كرامة أبيها ، لدرجة أنه عاد الى القديس وقال له « صل لكى يأخذ الله الفتاة » .. فأجابه «أنت طلبت مشيئتك الخاصة» نحن لا نعرف يا اخوتى ما هو المفيد لنا . ومع ذلك كثيرا ما نطلب الصحة ، ولا يكون طلبنا هذا خاطئا ، ولكن لو تمسكنا به نخطىء . بولس الرسول أعطى شوكة فى الجسد لئلا يرتفع من فرط الاعلانات . وقد طلب الى الله أن يفارقه هذا المرض اذ قال : « الى الله تضرعت ثلاث مرات أن يفارقنى » ٢ كو ١٢ : ٨ . ولكنه لم يستجب . !! رفض الله صلاة بولس الرسول قائلا : « تكفيك نعمتى » ٢ كو ١٢ : ٩ . فالمرض كان صالحا له .



الاردة البشرية والتدبير الالهى

ان مشكلتنا فى حياة الشكر هى أننا نريد أن ندبر أمورنا بعقليتنا وطريقتنا الخاصة ـ فاذا لم نعط طلباتنا تغضب . وقد لا نغضب ولكن أيضا لا نشكر وهناك فرق بين انسان شاكر وبين انسان غاضب . فاذا شكرنا الله فمعنى ذلك أننا نرى الخير فى كل عمل الرب معنا .

واذا كان الله يقول فى كتابه المقدس : من يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطية له (يع ٤ : ١٧) فبالحرى ـ يعمل هو الخير اذ باستطاعته أن يعمل ـ وبالضرورة لابد أن أؤمن بأن الله يصنع خيرا معى وهو فعلا يصنع ذلك .

ولماذا اذن تنتابنى أتعاب ـ كل ذلك بسبب ارادتى أنا المنحرفة . لان الله يصنع دائما معى خيرا ، لكنه لا يرى من الخير أنه يسلبنى هذه الارادة التى بها أضر نفسى أحيانا . أما هو فينبغى أن أشكره فى كل حين .. ان كانت حالتى سيئة ، فكان ممكنا أن تكون أسوأ لو تخلت عنى نعمة الله . الله يصنع معى خيرا ، ولكننى لا اصنع خيرا مع نفسى ، فينبغى أن أشكر الله وألوم نفسى .. ولنطرق بعض نواحى تفصيلية .

لماذا أشكر الله .. !!

لعل من أجمل القطع الروحية التى سمعتها وقرأتهـا فى حياتى فى نواحى الشكر هى القطعة الموجـودة فى القداس « الغريغورى » وأولها « قدوس قدوس أنت أيهـا الرب وقدوس فى كل شىء » التى يبـدأ فيها الكاهن نيـابة عن الشعب فى شكر الله على كل شىء اذ يقـول .. « خلقتنى انسانا كمحب البشر ولم تكن أنت محتاجا الى عبوديتى بل أنا المحتاج الى ربوبيتك . من أجل تعطفاتك الجزيلة كونتنى إذ لم أكن . أقمت السماء لى سقفا وثبت لى الارض لامشى عليها . من أجلى ألجمت البحر . من أجلى أظهرت طبيعـة الحيوان . اخضعت كل شىء تحت قدمى . لم تدعنى معوزا شيئا من أعمال كرامتك .. الخ » .

ومن هذه القطعة نستطيع أن نتأمل بركات :

١ ـــ **أشكر الله لانه خلقك** : من منا يشكر الله لانه خلقه وأنعم عليه بالوجود ؟ توجد أشياء كثيرة ننساها ، ليتنـا نتذكرها .. هل تشكر الله لانه اوجدك ؟ كان ممكنا الا تخلق على الارض . الله لم يكن مطالبا بأن يزيد العالم واحدا .! كان ممكنا أن تكون والدتك عاقرا ولا تلد بنين ، وكثـير من النساء عواقر . ان مجرد ولادتك نعمة عظيمـة من الله اذ

يقول فى المزمور : « البنون ميراث من الرب » وكان ممكنا الا يعطى والدك هذا الميراث ، أو أن ينجبا اخوتك فقط ولا ينجباك أنت بالذات .

٢ ــ **أشكر الله لانه خلقك فى اليوم السادس** : الله قبل أن يخلقك صنع من أجلك أشياء كثيرة .. نحن نشكر الله ليس لانه خلقنا فقط ، بل أيضا لانه خلقنا فى اليوم السادس .. لماذا لانه أعد كل شىء لراحتنا قبل أن يخلقنا . لذلك نقول فى القداس « أقمت السماء لى سقفا وثبت لى الارض لامشى عليها . من أجلى ألجمت البحر ! من أجلى أظهرت طبيعة الحيوان ، أخضعت كل شىء تحت قدمى » فالله أعد كل شىء قبل أن يخلق الانسان : خلق السماء وزينها بالشمس والقمر والكواكب وخلق النور ، خلق الارض والنبات والحيوان .. خلق الانسان بعد أن أعد له كل نواحى الراحة، وبعد أن ضبط القوانين الطبيعية سواء قوانين الفلك والسماء أو القوانين الارضية من جهة الامطار والرياح والحرارة والرطوبة .. الخ . بعد أن دبر كل شىء خلق الانسان .. اشكر الله من اجل المواهب الانسانية التى اعطاك اياها .. الذكاء والعقل والنطق والمشاعر والحواس .. من اجل كل الاشياء الطبيعية التى كثيرا ما ننساها عندما نشكر الله .

٣ ــ **أشكره لانه خلقك مسيحيا** : أشكر الله أيضـــا لانه جعلك تولد مسيحيا فان كثيرين يشتهون هذا الايمــان ولا يجدونه . بـــل ويتعبون من أجله كثـــيرا ، ولا يستطيعون الوصول اليه ، اذ تقف أمامهم كثير من المشاكل العقــائدية والمتاعب والمشاكل الاجتماعية وغير الاجتماعية .. أما أنت فوجدت فى هذا الايمان وفى هذه العقيـــدة ..!! أشكر الله على هذا .

٤ ــ أشكره لانهوهبك الصحة والحواس وجميع الاعضاء:

أشكر الله أيضا على الصحة التى أنت فيها ، من منا يشكر الله لانه يبصر ؟ لكن اذا تعبت عينـــاك وبدأت تعالجهما ، تبدأ فى الشعور بنعمة البصر التى لم تشكر الله عليها من قبل . انا لا أبدأ أشكر الله على رجلى التى أسير بهما حسنا الا بعـــد أن تبـــدءا فى التعب وابتدىء أحتـــاج الى عصـــا استند اليهـــا ..!! انت لم تشكر الله لان معـــدتك تهضم الطعـــام جيـــدا ، ولكن اذا حدث لهـــا تعب أو نقص فى العصارات ! أو اصيبت بقرحة فى المعدة .. حينذاك تبـــدأ تشعر أنك كنت فى نعمة لم تشكر عليها ..! صدق الحكيم فى قوله « الصحة تاج فـــوق رؤوس الاصحاء لا يعـــرفه الا المرضى » نحن لا نحس قيمـــة الشىء الذى عندنا الا عندما

نفقده ، فنندم لاننا لم نشكر عليه .. كثير من الناس يشتهون الوضع الذى أنت فيه ولا يجدونه . فاشكر الرب.

٥ ــ أشكره لانه يعطيك فرصة الحياة من أجل التوبة :

أشكر الله لانك لازلت فى الحياة .. قال أحد الكتاب كلمة تستحق التسجيل « ان ملايين الملايين من الذين فى الجحيم يشتهون ساعة من حياتك أنت على الارض » .. على الاقل يتوبون فيها ، يقدمون لله اعترافا وانسحاقا ويكسبون ملكوت السموات .. أما أنت فعندك حياة طويلة لا تشكر عليها . ولو حلت بك سكته قلبية تقول يارب دقيقة واحدة فقط أشكرك عليها ، دقيقة واحدة أتوب فيها .. لا توجد . ضاعت الفرصة وعندما تذهب الى الجحيم تقول لو كان اعطانى الله دقيقة أقول فيها عبارة العشار .. ولو أقول عبارة اللص اليمين .. ولو أقدم توبته ..!! ملايين الملايين من الذين فى الجحيم يشتهون دقيقة واحدة من عمرك ، ولا يجدون . لو أن الله أخذ منك الروح الان ، الا تشتهى هذه الدقائق ، وتتمنى لو أعطاك الله نصف ساعة فقط ! وتقول أعترف فيها بكل شىء بالتفصيل حتى بالذى أخجل منه ، حتى بما لا يقال ، حتى بما يقف على لسانى .. أقوله بدون حرج وآخذ عنه حلا .. لو أعطانى الله نصف ساعة أتصالح فيها مع من أخاصمهم ، وأعتذر لهم ، وأقدم لهم مائة مطانية (سجود) تحت أرجلهم ، حتى لو كانوا هم المخطئين ...

نصف ساعة يارب .. لا يوجد ـ أغلق الباب . لماذا اذا لا تشكر الله على الحياة التى لك ؟ .. وعلى هذه الساعات التى مازالت لك فى العمر وتستطيع أن تعمل فيها الكثير ، وتضمن ملكوت السموات ، وتتوب وتحيا حياة روحية ؟ .. ألا تشكر الله الا اذا نزل لك كنز من السماء ..؟! وما أدراك ـ ربما اذا نزل لك كنز من السماء يكون سببا فى هلاكك وتفقد الملكوت بسببه .

٦ ـ اشكره لانه يهيىء لك الحياة فى بيئة مسيحية :

هناك أشياء كثيرة تستحق الشكر ، لا نشكر الله عليها . من منكم يشكر الله لانه موجود الان فى الكنيسة ؟ كثير من الشبان فى هذه اللحظة فى أماكن اللهو المختلفة وفى خطايا كثيرة ، وأنتم موجودون فى الكنيسة . فمن منكم يشكر الله ؟ لمجرد وجوده حتى لو كان لا يفهم الكلام أو لا ينسجم منه .. أشكر الله على هذا . من منا يشكر الله لانه أوجد له بيئة مسيحية صالحة من أبوين مباركين لم يمنعاه عن طريق الرب ؟ وهيأ له بيئة مسيحية من خدام فى الكنيسة يعتنون به حتى وصل الى هذا الوضع من المعرفة الروحية والسلوك الروحى ؟ .. توجد اشياء كثيرة تستلزم الشكر ونحن لا نشكر عليها .

٧ ــ اشكره لانه يرعى كل أمور حياتك :

يوجـــد أيضا عنصر آخـــر هو احسنات الله اليـــك .. الاحسانات الشخصية فى حياتك عموما وفى حياة أحبائك . كم مرة طلبت من الله طلبا واستجاب ؟ فى ضيقات انقـــذك منها ، فى امتحانات أنجحك فيها ، فى مشاكل وفى قضـــايا كانت نتيجتها فى صـــالحك ، فى أمراض شـــفاك منها ، فى ضيقات أنقذك منها ، فى خطـــايا لم تكشف أمام الناس .. أريد أن أذكر كم بمثل بســـيط .. فى سنة ١٩٤٧ كان مرض الكوليرا منتشرا وكان يحصد بالالاف . واغلقت كثـــير من المدن خوفا من نقل العدوى وكان الرعب حالا فى البلاد .. دخلت مرة احدى هذه المدن المغلقة بتصريح بعـــد التطعيم ضد الكوليرا طبعا ، ولم أسمع أحدا يضحك ، ولا يبتسم ، ولم يكن يسمع صوت راديو ولا أغـــانى .. وكانت المدينة حزينة مكتئبة . وكثيرون صلوا وقالوا « يارب لو انقذتنى من الكوليرا سأبقى مثل مارجرجس ، مثل الملاك ميخائيل ، مثل الانبا انطونيوس أب الاباء » .. وانقـــذنا الله من الكوليرا وعشنا الى الان ، من منا يشكر الله لانه نجا من الكوليرا ؟ راحت ونسيت وضاعت .. ومن هذا كثير .

نحن ننسى احسانات الله ــ وعندما ننساها يقل شكرنا وأيضا تقل محبتنا . لانـــك اذا تذكرت جميـــل أحد عليك ،

تحبه . وعندما تنسى هذا الجميل تفقد المحبة . لذلك من التداريب الجميلة أن يجلس الانسان الى نفسه وبعد احسانات الله اليه .. خذ ورقة طويلة واجلس أكتب احسانات الله اليك منذ ولادتك الى الان ، واحساناته الى أحبائك ، وعدد الصلوات التى استجيبت فى حياتك ، والخيرات التى أتتك بدون صلوات — من الله رأسا .. عدها كلها ثم قف واشكر الله على كل أمر واحد فواحد .

٨ — اشكره من أجل الفداء العظيم :

يوجد امر اعظم من هذا كله بكثير ولا يقاس الى جواره آخر ويحتاج الى شكر ، الليل والنهار .. وهو الخلاص العظيم الذى قدم الينا على الصليب .. من منا يشكر المسيح لانه صلب من اجلنا ..؟ لانه تجسد من اجلنا وسكب دمه من أجلنا ..؟ ان حكم الموت الذى وقع على البشرية ، ما كان ممكنا لاحد ان يخلص منه بدون تجسد الابن وبدون صلبه وموته .. فالانسان أخطأ الى الله .. وكانت خطية غير محدودة لانها موجهة ضد اله غير محدود ، وعقوبتها غير محدودة . ان قدمت من أجلها كفارة ، فلابد أن تكون كفارة غير محدودة . ولا يوجد غير محدود الا الله .. فكان لابد أن يتجسد الله وان يموت عنا — والله دفع هذا الثمن ..! لو فرضنا أن الله لم يدفع هذا الثمن ، فماذا تكون النتيجة ؟ كلنا الى الهلاك الابدى . ولكن المسيح أنقذنا جميعا . من

منا كل يوم وكل ليلة يذكر صليب المسيح ويشكره لانه دفع الثمن نيابة عنا؟ بدون هذا الثمن ماكان ممكنا أن تنفع الاعمال الصالحة ولا التوبة ولا أى شيء .. الله فيما نحن خطاة ، فيما نحن محكوم علينا بالموت ، مات المسيح من أجلنا ونحن فجار . أعطانا خلاصا لا نستحقه ولم نبــذل فيه جهدا .. خلاصا مجانيا على الصليب « متبررين مجانا بالنعمة .. » من منا يشكر المسيح على هذا ؟ لقد وضعت لنا الكنيسة أن نذكر هذا الامر فى مناسبات عديدة حتى لا ننساه .. فى كل سنة تقيم لنا أسبوع الالام ، أسبوع البصخة ويوم الجمعة العظيمة بذكرياته الجميلة المؤثرة حتى لا ننسى الصليب . فهل يكفي هذا التذكار السنوى ؟ لا يكفى ، لاننا ننسى .. ماذا تعمل الكنيسة ؟ جعلت كل يوم جمعة فى الاسبوع صوما لنتذكر فيه صليب المســيح لئلا ننسى .. فهــل يكفى هذا التذكار الاسبوعى ؟ لا يكفى أيضا . جعلت لنــا الكنيسة صلاة الساعة السادسة من كل نهار وفيها نقول « يا من فى اليوم السادس وفى الساعة السادسة سمرت على الصليب من أجل الخطية .. الخ » لابد أن نتذكــر هذا الصليب كل يوم لكى نمتلىء بحياة الشكر ، وفى كل يوم نشكر الله لانه أعطانا خلاصا هذا مقداره .. والا نكون غير شاعرين بهذا الخير ولم نفهمــه ..

٩ ــ اشكره من أجل عطيتــه السماوية :

من منا يشــكر الله لانه أعطانا هذا الكتــاب المقدس ؟ اليست هذه نعمة تستحق الشكر ..!! العالم عاش فى ظلمة الوثنية زمنا طويلا لم توجد فيه كلمة خلاص واحدة ــ والله ارسل لنا الانبياء وأرسل لنا الرسل وعلمونا وأفهمونا وتركوا لنا هذه الذخيرة العظيمة .. فى صـــلاة القداس الغريغورى يقول الكاهن «أعطيتنى علم معرفتك .» ويقول أيضا «أرسلت لى الناموس عونا .. » نحن نشكر الله من أجل أنبيائه ومن أجل رسله ومن أجل كتابه المقدس ومن أجل هذا التعليم . لو عاش الانسان حياة الشكر ، يشكر الله على كل شىء .

١٠ ــ وأخيرا شكر بلا حدود ..

فانا لا أستطيع مطلقا أن أحصى احسانات الله .. أو أن أحصرها ، أو أن أعطيك قائمة بها . انما ذكرت فقط بعض الامور الجوهرية التى تنير لنا السبيل . أما أنت لو عشت حياة الشكر ، تستطيع أن تشكر الله عن كل نفس تتنفسه ، على كل خطوة تخطـوها ، على التوبة ، على قيــامك من سقطتك ، على جميع مواهبه لــك ، على روحه القدوس الذى يعمل فيك ، على نعمته التى تفتقدك كلما تسقط وكلما تخطىء ، وتفتقدك فى حالة قوتك لكى تزيدك قوة وتنميك .. تشكر الله على كل حال ومن أجل كل حال .

حياة الشكر تستلزم الاتضاع

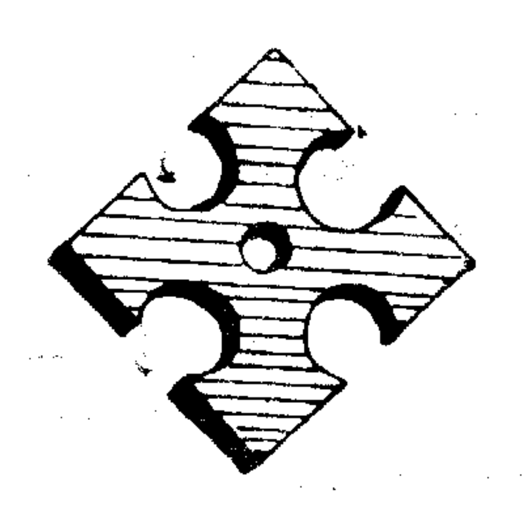
ولكى تشكر جيدا تحتاج فى حياة الشكر الى الاتضاع والانسحاق . فالشخص المتضع يشعر انه لا يستحق شيئا .. لذلك هو يشكر على كل شىء . لو اعتبرت أنك تستحق أشياء كثيرة ، لاوصلك هذا الى حياة التذمر والضجر .. لماذا ؟ من أجل الكبرياء وليس من أجل الضيقات الخارجية .! الانسان فى كبريائه يشعر أنه يستحق أشياء كثيرة ، يستحق حياة أفضل ، فيتذمر على ما هو فيه .. لو كان متضعا ، لشعر أنه لا يستحق شيئا ، فكل ما يعطى له من الاله مهما كان قليلا يشكر عليه ، لانه لا يستحقه . الرجل الفقير الذى تعطيه قرشا يشكرك عليه لانه شاعر أنه لا يستحق . ليس له عليك شىء .. فكل ما تعطى له — حتى كسرة خبز — يشكرك عليها .. فلو كان لك هذا الشعور — تقول يارب ليس لى عليك شىء ولا أطالبك بشىء — كل شىء من عندك حسن . القليل حسن لانى لا استحقه ، والكثير حسن لانى لا أستحق حتى القليل . فتعيش فى شكر دائم .

يقول القديس مار اسحق عبارة خطيرة .. « الشخص الذى لا يشكر على القليل كاذب هو ان قال انه يشكر على الكثير . الذى لا يشكر على الدرهم ، لا يستطيع أن يشكر

على الالف دينار » . الشكر عنده غـــير موجود .. الذى لا يملك الشكر فى طبيعته ، يتذمر لو أعطيته ألف دينـــار ، ويقول غيرى عنده مليون دينار . تقـــول له أنت أصبحت وزيرا ، يقول ولمـــاذا لا أصير رئيس وزراء ..! لا يوجـــد شكر بالمرة . من الذى يشكر ؟ .. الشخص المتضع الذى يشعر انه لا يستحق شيئا على الاطلاق . فكل ما يعطى له من الله يشكر عليه . والمتضـع لا يشـــعر فقط أنه لا يستحق شيئا من الخير ـــ بل أكثر منهذا يشعر أنه يستحق عقوبات كثيرة وتأديبات عنيفة .. ولو اعطيت له جميع البلايا يشكر، ويقول انا استحق بلايا اكثر من هذه لانى انسان خاطىء . انها لرأفة عظيمة من الله ان يعطينى هذه فقط .. مثال لذلك أن مجـــرما ارتكب جرائم مرعبـــة ، وحكم عليه القـــاضى بالاشغال الشـــاقة المؤبدة ، فصرخ فى المحكمـــة وقال له اشكرك .. ! لمـــاذا ؟ « لانى استحق الاعـــدام ! يا لك من قاض رحيم وحنون .. ان هذا المجـــرم شاعر بخطيئته ، ويعرف أن جريمته تستحق الاعدام . انه يذهب الى المحامى أيضا ويشد على يده فى حرارة ، ويقول له « أشكرك ياالاستاذ على المجهود الكبير الذى بذلته من اجلى ، وجعلتنى اصـــل الى الاشغال الشـــاقة المؤبدة .. كانت رأسى فى المشنقة وأنت أنقذتنى ..! » هكذا يكون الانسان المتضع : كلمـــا

تأتيه بلية ، يقول أشكرك يارب . أشكرك لانك حنون جدا وتعطينى عقوبات خفيفة للغاية .. يالشفقتك العجيبة ..! حقا يارب ، ان يدك على لا عصاك .

قد تعترض وتقـــول : نفرض أن الله أعطى له ضـــيقة لا تحتمل ، مرضا من الامراض المؤلمة التى لا تحتمل ، فكيف يشكر الله ولا توجد ضيقة أعظـــم من هذه ؟ انـــه يجيب « لا ـــ هناك توجد البحيرة المتقدة بالنار والكبريت . فان كنت آخذ عذابات على الارض لاتحتمل ، فهذا أفضل من العذاب الابدي الذى لا يحتمل » .. فالانسان المتضع هو الانسان الشـــاكر .



خاتمــــة

ان حياة الشـــكر تحتاج اذن الى ايمـــان بالله . والى الغرض الواحد ، أعنى الا يكون للانسان هدف سوى محبة الله فقط والالتصاق به ، لذلك لا يهتم بأى شىء آخــر بل يشكر على كل شىء . وحيـــاة الشكر تحتاج الى ذاكـــرة لا تنسى احسانات الله ، وتحتاج الى اتضاع والى محبة . لو كانت بينك وبين اللـــه محبة ، تشـــكره على كل شىء ، تشـــعر أن كل شىء هو من يده المـــلوءة حنانا ومن قلبـــه المملوء محبة .. فتبقى ســـعيدا به . حياة الشكر تصـــل بالانسان الى حياة السلام والفـــرح ، ولا شىء ينزع فرحه منـــه .

ولله المجد دائمـــا أبديا آمين ..





بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

تقرأ في هذا الكتاب عن حياة الشكر، ودرجات الشكر: من الشكر على القليل، إلى الشكر على الضيقة إلى الشكر كل حين.

وتقرأ عن أسباب ومجالات الشكر، وعن الفضائل المصاحبة الشكر، كالاتضاع والإيمان، والصبر، والتسليم...

كما تقرأ عن الأسباب التي تمنع الشكر، وهي كثيرة...

يكمل هذا الكتاب، كتاب آخر عن تأملات في صلاة الشكر، ستنشره قريباً إن شاء الله مع تأملاتنا في المزامير الخمسين.

شنوده الثالث

